11 أيلول:
الجمر والرماد

10 سنوات غيرت العالم

أفغانستان: الحرب المخططة سلفاً... على

لم يكن غزو أفغانستان بسبب هجمات 11 أيلول؛ فالخطة كانت معدّة سلفاً، وهذه الحرب لم تكن لتقع لولا تواطؤ جميع الدول، من إيران إلى الهند وباكستان وروسيا، وبمباركة إسلامية

شهيرة سلوم

عشر سنوات على الحرب في أفغانستان، ولا تزال الإدارة الأميركية تتخبط وتدور في محور التساؤل الآتي: كيف سنخرج من أفغانستان بنهاية سعيدة؟ أو على الأقلّ كيف سنخرج بأقل الخسائر الممكنة؟ وكيف ستنتهي حربنا العالمية على الإرهاب بصيغة مشرّفة؟

تبحث أميركا عن إنجازات، فتجدها بضرب تنظيم «القاعدة» وحليفته «طالبان» عبر «قصقصة» أجنحتهما قبل قطع رؤوسهما. ولا شكّ في أنّ هذا ما تحقق، ولعلّه الإنجاز الوحيد لها، الذي حققته وكالة استخباراتها «سي آي إيه» بمساعدة شركات الحرب الخاصة. ففي برنامج خاص بدأ تطبيقه منذ 2004، نجحت الولايات المتحدة في قتل عشرات القيادات في «طالبان» و«القاعدة» (أكثر من 60)، قبل أن تغتال أخيراً أرفع مسؤولين في «القاعدة»، زعيمه أسامة بن لادن ومعاون الزعيم الجديد (أيمن الظواهري) عبد الرحمن عطيّة. باستثناء بن لادن، قامت القوات الأميركية بتصفية معظم كوادر «القاعدة» من خلال ضربات جوّية شنتها طائرات الاستطلاع داخل المناطق القبلية، بين هؤلاء شيخ منصور، وعبد الباسط عثمان، وصانع القنابل، منصور الشامي، قائد عسكر الظل، عبد السعيد الليبي، وزميله زهيب الذهب، وقائد الشبكة الداخلية للتنظيم صالح الصومالي، والمدرب عبد الله حماس الفلسطيني، والمطلوب في تفجيري السفارتين الأميركيتين في تنزانيا وكينيا في 1998، أسامة الكيني. وفي 2008 سقط عبد الله عزام السعودي، ورئيس فرع الاستخبارات في «القاعدة» أبو جهاد المصري، وخبير المتفجرات أبو حمزة، وأبو حارث السوري ورئيس برنامج أسلحة الدمار الشامل وصانع القنابل في «القاعدة»، أبو خباب المصري، وزميله أبو ليث الليبي، إضافة إلى الابن الأكبر لبن لادن.

برنامج مثّل العمود الفقري للحرب التي امتدت إلى باكستان، وعدّه المدير السابق لـ«سي آي إيه» (وزير الدفاع الحالي)، ليون بانيتا، «اللعبة الوحيدة في البلدة». لذلك، تحاول الإدارة الأميركية تعظيم إنجازها في هذا المجال لتغطية هزيمتها على الأرض.

فضلاً عن ذلك، فشل التحالف الدولي، بقيادة أميركية، رغم كل محاولاته، في وضع أسس بناء نظام ديموقراطي وحكومة نظيفة وقوية قادرة على الحلول مكانه. وبعد حرب كلفت آلاف الأرواح وأكثر من 450 مليار دولار (تتحدث أرقام عن 1 تريليون دولار)، لا يزال الفساد يعشش في الحكومة وإداراتها، والأفيون يُغرق البلاد من مشرقها إلى مغربها. حاولت الإدارة الأميركية بالترغيب والترهيب أن تُلزم الحكومة الأفغانية بمحاربة الفساد والأفيون، ولكن عبثاً بما أنّ من تتهم بالفساد هم أمراء حرب وأكبر حلفائها (وأولهم أحمد والي قرضاي، الذي قتلته «طالبان»). كذلك، لم يقدر حلف الأطلسي والقوات الأفغانية مجتمعة على إلحاق الهزيمة بـ«طالبان»، فكيف بالقوات الأفغانية التي تفتقر إلى المعدات والتدريب اللازمين؟

وتجدر الإشارة إلى أمر تتباهى به الإدارة الأميركية، ويتعلق بحقوق المرأة، تحديداً ارتفاع نسبة تعليم الفتيات، بعدما كانت «طالبان» تحظر عليهن العلم. لكن الحريات المدنية والسياسية لم تحقق أي تقدّم، وجميع الانتخابات التي جرت منذ الغزو شابها التزوير (وآخرها إعادة انتخاب الرئيس حميد قرضاي). وفي مجال البنى التحتية والتنمية، لم تبن المساعدات الدولية دولة تستطيع الاعتماد على نفسها، واعتمدت على استراتيجيات غير مستديمة، وهذا ما استنتجته لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي، مشيرةً إلى أنّ ممارسات المانحين خلقت «ثقافة التبعية في أفغانستان وشوهت تحرير الأسواق ونشرت القلق».

كانت أفغانستان أول حبة في عنقود «الحرب على الارهاب» (أرشيف ــ أ ف ب)

أطلعت أميركا الهند وإيران وروسيا وباكستان على خطتها للغزو قبل الاعتداءات

خطة حاضرة للغزو

حكاية «المؤامرة» لا تنحصر فقط باعتداءات 11/9 نفسها، بل أيضاً في عملية غزو أفغانستان. لقد تحدثت تقارير صحافية أميركية عن تأليف جبهة تحالف سرّية بين روسيا والولايات المتحدة والهند وإيران ضدّ نظام «طالبان». ونُشرت أنباء في صيف 2001، أي قبل اعتداءات 11/9، تفيد بأن الحكومة الهندية أعربت

هكذا استغلت إسرائيل الحدث الأميركي

بعد الحادي عشر من أيلول، سعى أرييل شارون إلى استغلال الحدث إسرائيلياً وتحويل معركته مع الفلسطينيين إلى جزء من «الحرب على الإرهاب»، وحظي بدعم أميركي غير مشروط

فراس خطيب

في عام 2001، استطاع أرييل شارون أن يهزم إيهود باراك في الانتخابات المباشرة على رئاسة الحكومة الإسرائيلية. كان صعود الجنرال المتقاعد استثنائياً بعد توقعات عديدة بنهاية حياته السياسية، وخصوصاً بعد تصاعد نجم بنيامين نتنياهو منتصف تسعينيات القرن الماضي. بداية الألفية الثالثة مثّلت مرحلة انتقالية بكل ما تحمل من معانٍ سياسية، حيث حملت بين طيّاتها ظروفاً معقدّة، أهمّها نهاية المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية وانهيار اتفاقية «كامب ديفيد» الثانية قبل توقيعها، واندلاع الانتفاضة الثانية، وصولاً إلى فشل رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود باراك وانهيار وحدة «إسرائيل واحدة» التي ألّفها. كانت تلك المرحلة، كفيلة بإعادة «الليكود» من الحطام لتحييه في مرحلة سياسية جديدة. في ذلك العام أيضاً، لم تبق المرحلة الاستثنائية محصورة بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بل دخل العالم إلى مرحلة ما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، وما تبعها من «حرب على الإرهاب».

لم تتأثر الدولة العبرية بقيادة شارون في حينه مباشرة من حطام مركز التجّارة العالمي، لكن الظروف السياسية المولودة ما بعد تلك الحادثة مثّلت مرحلة جديدة دخلها العالم. في ذلك الحين، أعلن الرئيس الأميركي جورج بوش حربه على «الإرهاب»، وحاول شارون استغلال الحرب المعلنة للاستفادة في تحويل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من دولة محتلة وشعب واقع تحت الاحتلال إلى «حرب إسرائيلية على الإرهاب». وبدأت مرحلة صداقة جديدة، تصاعدية بقوتها، بين البيت الأبيض وتل أبيب، وصار الموقفان الإسرائيلي والأميركي موقفاً واحداً موحداً، فإذا كان الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون يُعَدّ من أصدقاء إسرائيل التاريخيين، صار بوش الابن أشدّ صداقة، ورفع من مجال التنسيق بين الدولتين، وتقرّب من اليمين الإسرائيلي ومنح حكومة أرييل شارون الضوء الأخضر لعملياتها العسكرية ضمن الانتفاضة الثانية وأهمّها «السور الواقي» في عام 2002 ضد «الإرهاب الفلسطيني». وجرى تدمير كل مرافق السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية المحتلة واجتياح جنين، بالإضافة إلى حصار الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات في مبنى المقاطعة في رام الله، وصولاً إلى استشهاده عام 2004.

لم يقتصر التوافق الأميركي ــ الإسرائيلي في تلك المرحلة على العمليات العسكرية التكتيكية، بل كان التعاون استراتيجياً يتمحور بمجمله حول فرض الكثير من الخطوات السياسية على أرض الواقع، أهمّها إنهاء بناء جدار الفصل ورسالة الضمانات الأميركية التي منحها بوش الابن لشارون، وتضمنت ضم الكتل الاستيطانية الكبرى إلى حدود الدولة العبرية وعدم انسحاب إسرائيلي إلى حدود الرابع من حزيران عام 1967. كذلك تجنّد الأميركيون لدعم عملية فك الارتباط عن غزة وحصارها من الخارج بعد عقود من الاحتلال. فالدولة التي كانت «وسيطاً» لإنهاء الصراع نهاية عام 1999، تحولت إلى داعم غير مشروط للدولة العبرية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، من دون أن يكون لتلك الأحداث ذكر مباشر.

في العام الماضي، كتب معلق الشؤون السياسية في صحيفة «هآرتس»، يوئيل ماركوس، مقالة تناول من خلالها تأثيرات أحداث عملية الحادي عشر من أيلول على العلاقات الإسرائيلية ــ الأميركية بقوله إنّ تل أبيب، بعد العملية خافت من أن يتهمها الأميركيون «بأنّ رفضها التوصل إلى حل مع الفلسطينيين فجّر الكراهية التي أدّت إلى العملية». لكنّ ماركوس أضاف أنّ ما حدث كان عكس التوقعات، مشيراً إلى أنه